الشاب المثقف في القرية

لحضرة صاحب العزة الأستاذ ابراهيم دسوقى أباظه بك

عضو مجلس النواب

كثر الكلام عن القرية وأحوالها وطرق اصلاحها حتى ليخيل الىّ أنه لم يبق لى ما أقوله عنها وأنا بطبعى أخشى الاملال وأكره التكرار .

ولكن القرية وطنى الصغير الكبير ... الصغير بصغر المساحة التى يشغلها على الأرض ، والكبير بالحيز العظيم الذى يحتله من القلب .

والقرى يسكنها تسعون فى المائة من أبناء البلاد ، فلهم فى أعناقنا من الحقوق ما يساوى هذه النسبة أو يزيد ... أستغفر الله . فلست أطمع لهم فى كل هذا وانما كل ما أطلبه أن أوجه النظر اليهم من جديد ، فيسوى القائمون بالأمر فينا بينهم و بين سكان المدن فيما ينعم به هؤلاء من يسر ورفاهية وعيش رغيد . إن حرمان الريف من كل أسباب الحياة الطيبة جعل أهله إذا زاروا المدن يؤخذون بسحرها وتملكهم فتنتها وتبهرهم زينتها ، فيتزحون إليها و يسترفدون الحياة فيها و يلبثون لا يتحولون عنها أو يخليهم رجال الشرطة إذا خان بعضهم التوفيق ولم يجد فيها عملا مشروعا .

عند ما زرت عواصم أوروبا الكبيرة لأول مرة كانت دهشتى عظيمة لعدم عثورى فى هذه المدن من حيث جمالها وتنسيقها وزخرفها وعظمتها على شيء يستحق الدهشة . فان القاهرة والاسكندرية و بورسعيد تكاد تضارع تلك المدن وهى عواصم المدنية والحضارة ، حتى انها لا تشعر بخجل عند المقارنة والمفاضلة . أما إذا عن لك أن تقارن الأرياف بالأرياف فهنا تأخذك الدهشة وتتولاك الحسرة لأن المقارنة مستحيلة ، بل هى تفضح اهمال الحكومات المصرية المتعاقبة لشأن الريف مع أنه مناط آمالها وموطن رجائها أو مصدر الثروة التى تجمل الحكومة بها المدن وتنظمها وتنشىء بها الحدائق والتماثيل والميادين ، ثم تسبغ منها على بعض الموظفين المدللين المحظوظين فيتنعمون و يتأنقون و يسيرون فى منا كبها متبخترين يتظرفون . أما الفلاح فانه يواصل العمل بالليل والنهار ، ثم يعود إلى داره وأية دار ! ! ؟ لا أصفها فكلنا يعرفها .

ولست أطيل الكلام عن الفلاح وداره ، وعن ملابسه وأسمائه وأطماره ، وعن بؤسه وبأسه وشقائه . فقد كثر عنه الكلام حتى ملت ترديده الألسنة والأقلام ...

ولكني مع هذا أحب صادقا أن يفهم الفلاح لمصري أنه الآن غير مضطهد . ولكنه اضطهد من زمن بعيد بعيد جدا ، حتى أضحت عنه مزمنة ، يعمل الجميع على علاجها بهمة واخلاص ، ولكن الداء يستعصى على الأطباء فيلحون عليه بالدواء . وهو الآن والحمد لله يتقدم رويدا رويدا نحو الشفاء . ولا أنكر أن هذا التقدم يسير بخطوات وئيدة بطيئة ، ولكنها وطيدة سديدة .

وخير ما يخدم به الريف هو التعليم ونشر الثقافة .

التعليم وحده ينهض بالريف الى المكانة التى نرجوها ونرنو إليها من أمد بعيد . وقد نما التعليم وتقدم فى السنوات الأخيرة ، فوجدنا له فى الريف آثارا حسانا ونتائج ملموسة بارزة وتطورا مباركا يبشر بالفوز العظيم والخير العميم .

إذا تعلم الفلاح وتفتحت عيناه للضوء عرف وحده ما يضره وما ينفعه ، وتجنب وحده الأخطار التى تهدده بسبب البيت الذى يسكنه والقوت الذى يتبلغ به والماء الذى يشربه . وهو عندئذ يوفر على وزارتى الصحة والشؤون الاجتماعية أكثر الأعباء التى تبذلها الحكومة فى سبيل حمله على العناية بنفسه كأنها المرضع تحنو على الطفل وتحمله على كتفيها وتداعبه وتغذيه وتهشكه .

لو تعلم الفلاح ثم أرادته الحكومة بالاكراه على أن يشرب ماء ملوثا كما يفعل الآن لرفض وثار عليها وتمرد وأخذ يذكرها ضرر البلهارسيا وخطر الانكلستوما والدوسنتاريا . وحدثها عن ميكروبات باستور وا كتشافات بهارس .

إن الفلاح يتقدم بتقدم التعليم فتتقدم القرية معه . وسأذكر هنا أمثلة تدل على أن الفلاحين يسايرون الرقى العصرى والمدنية متى استنارت عقولهم بشىء من العلم والثقافة ، ويتدرجون تدرجا يحق لنا أن نعقد عليه آمالنا وتطمئن به نفوسنا .

(١) أنشأنا فى قريتنا — غزالة — بمديرية الشرقية منذ زمن بعيد بئرا ارتوازية ماؤها عذب صحى نقى أثبت التحليل لمصلحة المياه أنه من أصلح المياه للشرب . وأبحنا هذه البئر للقرية لتنقذ أهلها من الماء الآسن الملوث الذى يفشى الأمراض فيهم ويفتك بهم فتكا ذريعا . أبحنا لهم الماء ولكنهم أعرضوا عنه على عذوبته ونقائه وصفائه حتى كدت أكرههم فى بعض الأحيان عليه إكراها كما لو كانت لنا فى ذلك مصلحة خاصة . وتقولوا على الماء ونتائج الاقبال عليه تقولات يعرف بعضها صديق عبد القوى باشا وزير الأشغال . وطالما كانت

بعيدا عن الموضوع فكانت لنا وقفة في أوروبا . وقد سئمت فتركتهم وشأنهم زمنا طويلا ولكنهم أخذوا وحدهم يدركون قيمتها فأقبلوا عليها أيما اقبال ، وأصبحوا يتسابقون اليها ويقتتلون من أجلها ، ولا سبيل الآن للخلاص من ضجيجهم ومشاكلهم إلا بانشاء بئر أخرى مع هذا الغلاء .

المثل الثاني — وجدته واضحا جليا أثناء الانتخابات العامة لمجلس النواب ، وقد مارستها منذ بدأت الحياة النيابية وكنت وما زلت نشيطا أزور الناخبين بنفسي في دوائر عديدة والشرقية . أزورهم في دورهم ، وأتفقد أحوالهم ، وأخطبهم ، وأسمع خطباءهم وشعراءهم وألبي بارتياح دعواتهم ... فماذا وجدت ؟ ؟ كنت في المرات الأولى أجد أثناء زيارتي تلا يقدم لي ببعض البيوت ما لا يطاق وكنت أتناوله على مضض وكراهة . وكنت أجرؤ الحيا على الاعتذار رغم ما يعقب ذلك من نتائج وخيمة . فانهم كرام يشعرون بألم الإهانة اذا رفضت ما يقدمون ، وينسبون ذلك للتعالي والكبرياء والصلف فيغضبون . وويل ثم الويل لمن يغضب عليه الناخبون .

أما في المرات الأخيرة فقد وجدت عجبا ! ! ! وجدت تغييرا مدهشا في بيوتهم من حيث الأثاث والترتيب والنظافة ، وفي ملابسهم وفيما يقدمون لضيوفهم .... لقد نحت البجوة المروتة ، وغارت الشربات المركزة ، واختفت القهوة المأوثة . والسكر .... فصع السكر التي كان يقضمها الناخبون الكرام بأسنانهم أمام عينيك لتحل بها القهوة ، والأعواد التي كانت تذاب بها بعد أن تهذب بالطريقة نفسها . تبدل كل هذا وأصبح "يوم ما يقدم تظيفا شهيا لا تعافه النفوس بل ترغب فيه وتشهيه ..... وكان هذا للرشحين في العهد الأول تلذيبا لا تكريما ، وتنكيلا لا تجميلا وتعظيما ، يشفع فيه حسن النية وشرف الغاية .

المثل الثالث — نجده في المستشفيات . فقد كان المريضون يرون الموت الزؤام جاثما بانتظارهم خلف أبوابها فيستسلمون للمرض مهما كان خطيرا ولا يلجون هذه الأبواب . وطالما دل المريضون اطلاق النار مع رجال الشرطة أثناء تفشي الوباء لاخفاء مرضاهم والدفاع عن حياتهم . والله يعلم هل كانوا يدافعون عن حياتهم أو يدافعون عن موتهم .

أما اليوم فالمستشفيات على كثرتها بالنسبة لما كانت عليه لا تكفي المرضى المساكين . ولعل من متاعب أعيان البلاد كثرة ما يعانونه من الحاح طلاب العلاج لتقبلهم المستشفيات .

* * *

أما واجب الرجل المثقف نحو أبناء قريته فهو التبشير بينهم بالثقافة ليعلموا أولادهم ويعلموهم الخدمة وطنهم . وعليه أن يحضهم على العناية بصحتهم ، والعمل على الصلح بين أهل بلده وصيانة الأمن العام والأخذ بالتجديد في زراعتهم واتباع الطرق العلمية الحديثة .

وأن ينشر بينهم مزايا الجمعيات التعاونية لانقاذهم من مخالب المرابين وبراثن المحتالين والمضاربين . وأن يحبب إليهم إنشاء المجالس القروية لتنظيف القرية وتنظيمها وتجميلها وانارتها وعنايتها بالماء الصالح ، وإرشاد أهلها إلى فائدة الشمس والهواء يتخللان الأكواخ والدور كما يتخللان القصور وهما فى الأرياف أقرب منالا .

وعليه ألا يصور لهم معيشتهم كلها بلون قاتم حالك ، وليذكر لهم ما فى المدن من شر مستطير بجانب ما فيها من خير كثير . فان الريفيين أهل كرم وشهامة ونجدة والخشونة تكسبهم شجاعة ورجولة . وليست كل عادات الافرنج التى فشت فى المدن جميلة بديعة . فالقمار والرقص ومعاقرة الخمر والخلاعة والميوعة ليست من السلع التى تروج فى الأرياف فهى منها برئية .

وما قرأت مرة عن حفلة كوكتيل تقيمها فى العاصمة سيدة مسلمة حتى شعرت بتقزز واشمئزاز ... وأزمعت الرحيل وتهيأت للسفر .

لقد أطلت كثيرا وأخشى أن أسيء إلى بعض الناس بغير قصد ولكنى أختم هذه الكلمة بأن أدعو المصريين جميعا للاقتداء بجلالة مولانا الملك فى عطفه على الفلاحين وبره بهم ، وعنايته بأمورهم وتفكيره كل يوم فى شؤونهم . ومبرته الأخيرة للفلاح مازالت حديث الناس والأندية .

ابراهيم دسوقى أباظه

من أدب القرآن الكريم

ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .